



الحظ.. واقع أم وهم؟

(2-1)

غالباً ما نبني أمنيّاتنا على الحظ، نترقبه في أعمدة الصحف والمجلات عند زاوية «اعرف حظك» من الأبراج.. نراه في منازل عديدة، كذلك على رفوف بعض المحال والمتاجر، أو حتى في مواقع الإنترنت، على شكل طلاسم ومقتنيات Lucky Charms أو Porte Bonheur، ونبني بموجبه قصوراً من أحلام مع كل ورقة يانصيب نختارها..

فهل من سبيل لنكسب الحظ حليفاً على مدى حياتنا؟!

يعتقد بعض الناس أن حظّه جيد، فيما يظنّ آخرون عكس ذلك، وكثيراً ما تتقلب الآراء بحكم الظروف، ولكن كيف توزّع «حصص الحظ» على بني البشر، وعلى أي أساس؟ هل الحظ واقع أم حاجة نفسية أشبه بالوهم؟ وهل هو قوّة غريبة ترتبط مثلاً بمواقع الكواكب والنجوم، فتتلاعب بأحداث حياتنا وتتحكم فيها بمزاجية؟ وما هو بالتالي دور الطموح والمجهود الفردي والمثابرة؟!

لفتني رأي العالم الكيميائي الفرنسي لويس باستور في كتاب The Life of Pasteur للكاتب René Vallery-Radot من خلال طرحه السؤال التالي: هل لاحظتم يوماً من هم الذين يتعرضون للحوادث الأليمة؟ ثم استطرد «إن الحظ يفضل أصحاب العقول المستعدة» Chance favors the prepared mind ما يعني أن ما نسميه الحظ الجيد برأي العالم لويس باستور، يرتبط بالجهوزية الفكرية. فكيف نفهم ذلك؟

إلى جانب ما تقدّم لفتتني أقوال أخرى عن الحظ، أهمها ما يعود إلى الكاتب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة «المصادفة والحظ لكسالى العقول»، لكن علوم الإيزوتيريك (أو علم الوعي الإنساني) توضح أن الصدفة والحظ يعبران عن الاعتبارية في نظام الحياة، في حين أن النظام هذا يعبر عن منتهى الدقة، «فالمصادفة لا وجود لها في قانون الحياة.. ولا الحظ.. ولا حتى الموهبة.. فكل ما نلقاه من لذة وسعادة.. ومن بؤس وشقاء.. هو نتيجة سبب ومسبب، يستقر في أغوار كل منا! فكل شيء قائم على نظام أدق من أن تتسرب الشعرة إليه..». هذا ما جاء في كتاب الإيزوتيريك الخامس والعشرين بعنوان «مذكرات إنسان» بقلم ج.ب.م.

في مسألة جهوزية الفكر، تشرح علوم الإيزوتيريك، «أن المعرفة لا تطرق باب المدارك إن لم يسع المرء بنفسه إليها، والفكر هو وسيلة السعي»، كما توضح هذه العلوم أن النضج الفكري المضمخ بمشاعر الرقّة هو العمود الفقري لتوازن النفس التي لا تستسلم للحظ، أو تقع في متاهاته.. كما يوضح الإيزوتيريك أيضاً أن مثل هذا التوازن النفسي القائم على القوّة الفكرية هو تقنية حياتية يمكن لأي فرد أن يحققها في حياته.. وهذه تعرف بالتماهي أو التماثل (simulation)، أي تخيل موقف صعب أو مشكلة عويصة ومحاولة حلّها فكرياً. فالتدريب على التماهي يساعد المرء على تخطي التجارب والمواقف الحياتية نظرياً، قبل خوضها عملياً على أرض الواقع. وكلما توسّع المرء من خلال عملية التماهي في تحليل كافة الاحتمالات التي قد تحدث، ثم تعمق في التمييز بين المواقف المشابهة، كان وقع الأحداث خفيفاً نسبياً عليه، فتهدون عملية احتواء التجربة والتفاعل معها بدل الانفعال حيالها. تماماً كحال التلميذ المجتهد الذي يعالج المسائل الأكثر صعوبة خلال فترة الدراسة، وعندما يحين الامتحان يجد الأمر يسيراً.. فلا يكون بذلك الأوفر حظاً، بل الأكثر مثابرة وجهداً بين زملائه.

المهندس شربل معوض

www.esoteric-lebanon.org

الحظ.. واقع أم وهم؟ (2-2)

من التقنيات المهمة الأخرى، العمل على إزالة السلبيات من النفس وإدخال الإيجابيات مكانها. لعل أهم هذه السلبيات يمكن اختصارها في ثلاثية «خوف - خجل - تردد»، بحيث إن إزالتها تعني تقوية عنصر المواجهة في النفس ما يعد شرطاً أساسياً لنقل النجاح في التجارب من حالة فكرية نظرية إلى حيز الواقع تطبيقاً عملياً. أضف إلى ذلك أن الفكر المنظم والمنفتح كفيلاً بتحسين حياة المرء من خلال تحقيق الراحة والاستقرار للارتقاء بالعمل وحلّ المشكلات وتنظيم الواجبات اليومية.. إلخ، فجميعنا نتمنى ونحلم بالراحة والاستقرار والنجاح، ولكن عندما نضع هيكلية فكرية لأحلامنا يستحيل الحلم طموحاً، وعندما نضع مدة زمنية محددة لتحقيق ما نطمح إليه يصبح الطموح خطة عمل ننقلها إلى حيز التطبيق العملي، فتحوّل أحلامنا إلى أهداف واقعية ممكنة.. على هذا المستوى لا يعود مهماً أن تنجح أو تفشل، بل ما نحصد من وعي وخبرة ونضج ونحن نتحمل مسؤولياتنا الحياتية المختلفة.. وفي خضم ذلك تبقى المثابرة كفيلاً بتحسين «حظنا»، إلى أن ندرك أن «الحظ» كما لا يفهمه السواد الأعظم من البشر، هو حليف من يرتفع فوق العقبات ويجتهد ويكافح في الحياة، بهدف تحسين نفسه والارتقاء بوعيه الفردي.

إن فكرة الحظ تتنافى والمنطق السامي للأمر، فمعاً أن يعرف نظام الحياة العشوائية، وحاشى للعدل الإلهي أن يكون ظالماً. ففي النظام هناك نتيجة ينطوي وراءها سبب، أو «سبب ومسبب» كما تشرح علوم الإيزوتيريك في ضوء مفهوم قانون الفعل وردة الفعل الذي يجيب عن كل تساؤل ويجلي كل غموض في هذا السياق. هذا القانون هو بإيجاز قانون السبب والنتيجة، قانون الثواب والعقاب ما يعني أن أعمال الإنسان هي السبب في ما يصيبه من خير أو شر، من سعادة أو شقاء، من صحة أو مرض، وحتى من حظ أو لا حظ!

لا يبدو أن للحظ وجوداً في قاموس الحياة وقانونها. فحتى علوم الرياضيات وبالتحديد فرعَي الاحتمال والإحصاء Probability & Statistics، تبرهن لنا بالمعادلات العلمية الحسابية، أن نتيجة أبحار النرد لا تعرف الحظ! فعلم الرياضيات تشرح أننا حين نرمي حجرِي نرد أو أكثر، عدّة مرّات، تتبع نتيجة الأرقام التي نحصل عليها في كلّ رمية معادلة أو نمطاً معيناً يُعرف بمنحنى غوشن Gaussian Curve.. بالتالي حتى نتيجة أبحار النرد ليست عشوائية كما يسود الاعتقاد..

كل شيء في الطبيعة يسير بحسب نظام لا يعرف الفوضى، بدءاً بحركة الشمس والكواكب، وصولاً إلى الفصول الأربعة، مروراً بنبض الحياة في الكيان الإنساني، فلا بد إذا لأحداث حياتنا أن تتألى بموجب نظام التطور في الوجود ولهدف معين يخص كل فرد، كما يخص البشرية جمعاء.. والمفتاح إلى ذلك هو الصدق مع النفس في مواجهة الحقائق في تفاصيل حياتنا اليومية.. ففهم هذه المعادلة كفيلاً بتحويل الحياة إلى رحلة ممتعة من البحث والاكتشاف، وإن تخلّكها التحدي الذي لا بد منه لشحن الطموح، وترسيخه في النفس.

المهندس شربل معوض

www.esoteric-lebanon.org